

المحور السابع

الآثار الداخلية للحرب

٢٠- تداعيات الحرب على المجتمع الإسرائيلي وكيف أثرت على إعادة النظر

في مفهوم الأمن الإسرائيلي أ. أمجد أحمد جبريل

٢١ - أثر الحرب على الداخل اللبناني؛ الأزمة وأبعادها الإقليمية

والدولية د. رضوان السيد

• التعقيب د. حسن نافعة - د. ناهد عز الدين

obeyikan.com

٢٠- تداعيات الحرب على المجتمع الإسرائيلي وكيف أثرت على إعادة النظر في مفهوم الأمن الإسرائيلي

أ. أمجد أحمد جبريل^(٥)

الهزائم الكبيرة غالبًا ما يكون لها تأثير إيجابي؛ لأنها تقود للمجتمع إلى ممارسة النقد الذاتي، وإلى التمعن في أوضاعه، وتجعله أشدّ وطنية واستعدادًا للتضحيات. أما الانتصارات فلها تأثير عكسي؛ حيث تقود في الغالب إلى التلذذ بالأوهام وإلى الكبرياء المفرطة؛ لذلك فإن الانتصارات الكبيرة خطر يصعب على الشعب تذليله أكثر مما يصعب عليه تذليل الهزائم.

ناحوم جولدمان^(١)

مقدمة

في ١٥/١١/٢٠٠٦ قتل صاروخ فلسطيني من طراز «قسّام» إسرائيلية في مدينة سديروت جنوب إسرائيل، كما أصاب اثنين آخرين بجروح خطيرة. وقد وقفت حكومة إيهود أولمرت عاجزة عن فعل أي شيء سوى الإقرار بأن الجيش الإسرائيلي لا يملك «حلاً سحرياً» لوقف سقوط قذائف القسام؛ لأن الحرب على القسام ليست من الحروب التي يمكن فيها توجيه ضربة عسكرية قاضية «ونقول انتهينا»^(٢).

وبرغم أن طيران العدو الإسرائيلي قد شنّ خمس غارات جوية بعد ساعات قليلة على قطاع غزة، إلا أن المقاومة الفلسطينية عادت لإطلاق صاروخين آخرين في اليوم التالي مباشرة^(٣).

(*) باحث في العلوم السياسية.

وعلى حين كان العجز هو حيلة الحكومة الإسرائيلية وقوات الاحتلال؛ بادر الملياردير الإسرائيلي - الروسي الأصل - أركادى غايدماك إلى تأجير حافلات لنقل أكثر من ألف شخص من سكان سديروت إلى الراحة والاستجمام فى فنادق إيلات . وكان إبان الحرب على لبنان قد فعل الشيء نفسه؛ حيث استقدم آلاف الإسرائيليين من البلدات الشمالية التى كانت تتعرض للقصف الصاروخى إلى جنوب إسرائيل، وكل ذلك من ماله الخاص^(٤).

ثمة أربعة أمور تلفت الانتباه فيما تقدم، وهى تكاد تلخص حالة الدولة والمجتمع فى إسرائيل بعد العدوان الأخير على لبنان (٧/١٢ - ٢٠٠٦/٨/١٣)؛ الأمر الأول: عجز واضطراب حكومة أولمرت وعدم جدوى لجوئها المتكرر لاستخدام القوة العسكرية لإنهاء نشاط المقاومة الشعبية العربية الذى تقوده الآن حركتان إسلاميتان هما حزب الله وحماس .

الأمر الثانى: هو ظهور وظيفة إستراتيجية جديدة لسلح الصواريخ بحيث لا يكون بمقدور القوات الجوية الصهيونية إيقافه، وتضطر إسرائيل عندها لخوض معركة برية إذا كان الهدف هو إزالة خطر الصواريخ؛ مما يؤدى لاستنزاف القوات البرية فى حرب عصابات لم تألفها أو تستعد لها^(٥).

أما الأمر الثالث: فيخص النفوذ المتصاعد لقطاع اليهود الروس الذى يتحرك بفاعلية محافظاً على سمات خاصة تميزه عن فئات الدولة الأخرى من الإشكناز والسفارديم والفلاشا والعرب . وربما يكون تعيين أفغدور لبرمان زعيم حزب «إسرائيل بيتنا» فى منصب وزير الشؤون الإستراتيجية مؤشراً إضافياً على تنامى نفوذ قطاع اليهود الروس وبروز قياداته من أمثال ناتان شارانسكى وأركادى غايدماك^(٦).

يحدث هذا كله فيما يشهد المجتمع الإسرائيلى منذ اندلاع انتفاضة الأقصى على الأقل تغييرات كبيرة؛ حيث تعتبره - وهذا هو الأمر الرابع: حالة من الانحلال السياسى الأخلاقى تتجلى فى عدة مظاهر: تزايد التوجه نحو اللذة فى المجتمع، وتفشى النزعة الاستهلاكية وتقليد أسلوب الحياة الأمريكى، وارتفاع نسب العنف والجريمة والطلاق، إضافة إلى سيادة دوافع انتهازية لدى النخب السياسية/ البرلمانية الباحثة عن المال والنفوذ حتى لو تعارض ذلك مع مصالح الدولة، بالتوازي مع انتشار الانغلاق الوطنى الذى يأخذ بتلابيب المجتمع إلى ترسيخ نظام فصل عنصرى «أبارتهيد».

من المهم فى سياق استعراض أوضاع الداخل الإسرائيلى بعد العدوان الأخير على لبنان الإشارة إلى عدة ملاحظات منهجية لا يستقيم التحليل بدون التمعن فى مغزاها ودلالاتها:

أولها: إن هذا الجهد البحثى لا يتجاوز القراءة الأولية التى تحاول استكشاف موضوعها، ولا تدعى مطلقاً الإحاطة بكل جزئياته وتفصيله، لا سيما أن الظاهرة محل البحث ما زالت قيد التطور؛ مما يحجب إمكانية وصف جميع جوانبها، وكما يقولون فإن «المعاصرة حجاب».

وثانيها: إن هذه الحرب التى امتدت ثلاثة وثلاثين يوماً كاملة لم تكن حدثاً عسكرياً وسياسياً عادياً، وإنما عبّرت عن لحظة فاصلة بحيث يمكن الحديث عما قبل العدوان على لبنان وما بعده؛ ومن ثمّ يجوز إدراجه (أى العدوان) ضمن الأحداث الكبرى فى مسار الصراع العربى/ الإسرائيلى؛ مثل عدوان ١٩٦٧، وحرب أكتوبر/ تشرين أول ١٩٧٣، وغزو لبنان ١٩٨٢، والانتفاضة الفلسطينية الأولى ١٩٨٧، ثم انتفاضة الأقصى.

ويبقى تقسيم مسار هذا الصراع الممتد إلى مراحل ذات بداية أو نهاية محددة أمراً اجتهادياً. ولكن أياً كان من يقوم بهذا التقسيم فليس بوسعه أن يتجاهل أهمية هذا الحدث بعينه، الذى سمّاه البعض بحق «الحرب العربية/ الإسرائيلية السادسة»^(٧). ويرجع ذلك إلى: حساسية التوقيت الذى اندلعت فيه الحرب، وطبيعة التكتيكات والإستراتيجيات العسكرية التى استخدمها طرفا الحرب المباشرين، وحجم التداخل بين العوامل المحلية والإقليمية والدولية فى هذه الحرب.

ثالثها: ليس من المبالغة القول إن كثيراً من تداعيات تلك الحرب لم تنجل بعد، فمن شأن الحروب دائماً أن تعيد تشكيل الواقع السياسى والاقتصادى والاجتماعى للأمم والشعوب لعشرات السنوات، ولا يجب أن يستغرب المرء توالى صدور العديد من المؤلفات عن حروب مرّ عليها نصف قرن أو يزيد فى قراءات جديدة لأحداثها ونتائجها وآثارها على موازين القوى الإقليمية والدولية^(٨). وهذا تنبيه على ضرورة مراجعة تداعيات حرب لبنان مرة بعد مرة، بعدما تمرّ السنوات وتتكشف وثائق الحرب.

ورابعها: إن من الضرورى تحرى الدقة البالغة فى مسألة المصطلحات المستخدمة لوصف نتائج الحرب، ويجب على الدراسات العلمية التى تتصدى لمثل هذا الموضوع العناية بمعايير الحكم على الأشياء وتدقيق المصطلحات. وبالرغم من ذلك يمكن القول إن

الجدل الداخلي في إسرائيل بعد الحرب يؤكد فشلها في تحقيق أهدافها حتى بعد أن تمّ تقليص تلك الأهداف ؛ من كسر قوة حزب الله وتفكيكه ونزع سلاحه ، إلى الاكتفاء بإضعافه وإبعاده إلى ما وراء نهر الليطاني . وبعدما تبين أن كسر قوة الحزب أمر غير ممكن التحقيق لجأ البعض إلى بلورة غطاء سياسى جديد للحملة العسكرية ؛ ألا وهو تنفيذ القرار ١٥٥٩^(٩) .

لكن من باب الأخذ بالأحوط يجب وضع الحرب في سياق مقارن - خصوصاً بمقارنتها بحرب أكتوبر/ تشرين أول ١٩٧٣ - مع مراقبة السلوك اللاحق للطرفين العربي/ الإسرائيلي ، فمن الممكن أن يُعدّل الطرف المهزوم سلوكه ، ويعيد ترتيب أوراقه وأوضاعه للالتفاف على النتائج العسكرية المباشرة للحرب ؛ وهو أمر يتوقف على قدرات الطرفين في إدارة الموقف بعد توقف القتال . بيد أن ذلك لا يمنع من الادعاء أن جميع المغامرات العسكرية التي ستخوضها إسرائيل مستقبلاً ستكلفها خسائر متصاعدة بفضل تحسّن أداء المقاومة العربية وقدراتها . وبعبارة أخرى فإن حرب يونيو/ حزيران ١٩٦٧ كانت التزهة الأولى والأخيرة لإسرائيل . ومن متابعة الخط البياني للصراع المسلح بينها وبين العرب يمكن ملاحظة أن مرحلة ما بعد عام ١٩٦٧ تختلف عن كل ما سبقها من مراحل ؛ حيث تترد إسرائيل بالتدريج إلى حجمها الطبيعي ، وتنكفي إلى الداخل بدلاً من التوسع خارج فلسطين التاريخية ، ويصبح أمنها أكثر عرضة للتهديد ، خصوصاً في عمقها الإستراتيجي^(١٠) .

وخامسها : هناك أهمية خاصة لتزايد الخسائر البشرية الإسرائيلية مع تطور نوعية المواجهات العربية/ الإسرائيلية ؛ فعلى حين لم يزد حجم الخسائر الإسرائيلية في الأرواح في جميع الحروب التي خاضتها ضد العرب منذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٦٧ عن ستة آلاف فقط ، فإن التقديرات الفرنسية والأمريكية لخسائر إسرائيل في حرب أكتوبر/ تشرين أول ١٩٧٣ على الجبهتين المصرية والسورية تصل إلى عشرة آلاف قتيل . أما تقدير وكالة رويترز فيشير إلى ثمانية آلاف ، لكن التقدير الإسرائيلي المعلن هو ٧٥٩ فرداً^(١١) .

ومهما يكن من أمر ، وحتى لو أخذنا بأقل هذه الأرقام ؛ فيجب أن لا نغفل عن القيمة الإستراتيجية للعنصر البشري أو العامل الديموغرافي في الصراع العربي/ الإسرائيلي ؛ فخسارة شخص واحد بالنسبة لإسرائيل تعنى الكثير ، ناهيك عن أن يكون عسكرياً مدرباً . وربما يفسّر ذلك سبب احتفاء الدولة بقدوم بضعة مئات من المهاجرين من أصول مشكوك

فى يهوديتها من الهند أو أمريكا اللاتينية، حتى إن أعلى مسئول فى الدولة لا يتردد فى المشاركة فى احتفالات استقبال المهاجرين الجدد.

ومن الواضح أن حسم الصراع العربى/ الإسرائيلى يرتبط بالعنصر البشرى ونوعيته وتأهيله واستعداده، وهو عنصر يؤثر على المكونات الأخرى للصراع مثل الأرض والهوية. نقول هذا حتى لا يستخف أحد بمقتل مستوطن أو جندى على يد مقاومة شعبية تعلن استهدافهما لأنهما يمارسان فعل «الاحتلال وقهر الآخرين». وهذا يؤكد أن سقوط قرابة ٢٠ قتيلًا و١٢٠ جريحًا من الجنود والضباط الإسرائيليين، وتدمير ٣٩ دبابة وجرافة إسرائيلية فى يوم واحد (وهو اليوم الثانى والثلاثين من العدوان ١٢/٨/٢٠٠٦ أثناء أكبر محاولة إنزال إسرائيلية بعد حرب أكتوبر/ تشرين أول ١٩٧٣) هو حدث يتجاوز دلالة الرقمية إلى دلالات أخرى أكثر عمقًا^(١٢).

وسادسها : ربما يصعب إدراك أو فهم مجمل التداعيات على الداخل الإسرائيلى نتيجة للعدوان الأخير على لبنان بدون استحضار المعنى التراكمى لهذه التداعيات، وضمه إلى ما سبقها من نتائج وتأثيرات، خصوصًا فى صراع إسرائيل مع الشعب الفلسطينى وقواه المقاومة على مدى انتفاضتى ١٩٨٧ و٢٠٠٠؛ مما يعنى أن الحرب على لبنان تكشف عن تطورات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية موجودة بالفعل فى إسرائيل، لكن هذه الحرب أظهرتها بشكل أوضح للعيان بفعل كفاءة مؤسسة حزب الله - قيادة وعناصر - فى إدارة الصراع مع إسرائيل، وتكثيف فعل المقاومة لفترة طويلة نسبيًا.

فى إطار هذه الملاحظات المنهجية يمكن أن نقسم تداعيات الحرب على الداخل الإسرائيلى إلى ثلاثة مستويات: التداعيات على مستوى المجتمع وقيمه وهويته، والتداعيات على نظرية الأمن الإسرائيلى واتجاهات إعادة تعريف الأمن بعد الحرب على لبنان، والتداعيات على التوجهات السياسية الإسرائيلية، وأخيرًا تناول الخاتمة احتمالات إحياء عملية التسوية والسياسة الإسرائيلية حيالها.

أولاً: التداعيات على صعيد المجتمع وقيمه وهويته

أدخل العدوان الإسرائيلى الأخير على لبنان (١٢/٧ - ١٤/٨/٢٠٠٦م) المجتمع الإسرائيلى فى خضم أزمة عميقة لما تتضح أبعادها الكلية بعد؛ فالخسائر البشرية فى

صفوف جيش الاحتلال الإسرائيلي التي ناهزت المائة قتيل؛ تمثل رقماً ضخماً نسبياً لم تألفه إسرائيل في حروبها السابقة، والهيبة العسكرية الإسرائيلية - لا بل نظرية الأمن القومي برمتها - تلقّت ضربة مؤثرة بفضل صمود رجال المقاومة، واستمرار القدرة الصاروخية لحزب الله حتى لحظة توقف القتال، والتجاذبات السياسية الإسرائيلية الداخلية بلغت ذروتها، حتى شملت المستوى العسكري ذاته.

بعد العدوان لم يعد المجتمع الإسرائيلي كما كان قبله، وهناك الآن من يتحدث عن حالة «اكتئاب قومي» تضغط على الدولة والمجتمع، وثمة حالة من الأنانية تسيطر على أفراد المجتمع، وتدفع بمفهوم «المصلحة الجماعية الإسرائيلية» إلى الهامش، وهناك تدهور في القيم واضطراب في تحديد اتجاه الحركة المستقبلية، وثمة أزمة مستحكمة تتمثل في غياب القيادات المؤهلة لتصرف شؤون الدولة؛ فالقيادات الحالية تُلاحق بعمليات فساد، وسوء استغلال للسلطة، باختصار هناك صيرورات هدامة داخل المجتمع الإسرائيلي؛ مما يجعل مستقبل الدولة سوداويًا ومظلمًا (**).

وفيما يلي سنتناول بعض هذه القضايا، فعلى سبيل المثال بات شائعاً أن يجري الحديث عن هوية الدولة والمجتمع مع تكرار المواجهات العربية مع إسرائيل.

وكان شيمون بيريز نائب رئيس الوزراء قد اعتبر في ٢٥/٧/٢٠٠٦ أن الحرب التي تخوضها الدولة في لبنان هي مسألة حياة أو موت بالنسبة لإسرائيل، فإما نحن وإما حزب الله. وخاطب اللبنانيين بقوله أنتم أيضاً ليس لديكم خيار، فإما أنتم وإما حزب الله. والحرب اليوم مأساة لبنانية نتجت عن المطامع الإيرانية^(١٣).

الخطاب الإسرائيلي الذي ردّه المسئولون الرسميون والصحفيون طيلة الحرب وبعدها ركّز على أن «الديموقراطية الإسرائيلية تواجه عدواً ظلامياً يستهدف المدنيين بشكل وحشي». وقد تحمّس الليبراليون الإسرائيليون لهذه الحرب معتبرين دولتهم جزءاً من قوى الخير العالمية في مواجهة قوى الشر، وكانوا سعداء بأن الحرب وضعتهم بشكل واضح إلى جانب معسكر الغرب في مواجهة الأصوليين في غزة ولبنان وإيران، خصوصاً أن «العرب المعتدلين» أبدوا امتعاضاً من «مغامرة» حزب الله بخطف الجنديين الإسرائيليين.

وبصفة عامة يبدو أن الحرب على لبنان نجحت في خلق حالة من الاصطفاف اليهودي الداخلي، بغض النظر عن التمايزات العلمانية/ الدينية في إسرائيل، وهذا لا ينفي بالطبع

بقاء أقلية هامشية تنتقد قرار الحرب «التي تجعل الجيش يظهر مثل زعران الحارات، فحينما يختطف جندي في غزة تدفع غزة كلها الشمن، وعندما يُقتل ثمانية جنود ويختطف اثنان يدفع لبنان كله الشمن (...)»، وبذلك لا تميّز إسرائيل مرة أخرى بين الحرب العادلة ضد حزب الله والحرب غير العادلة ضد الشعب اللبناني (...). لقد خرجت إسرائيل للحرب من أجل أن يتذكر الناس اسم عمير بيريتس إلى الأبد، فهي حرب تخليد اسم بيريتس من أجل طمس إخفاقات دان حالوتس^(١٤). لقد عكست الحرب حاجة إسرائيل الدائمة إلى العنف المؤسساتي الذي يستلزم الاستعداد الدائم للحرب الشاملة، وللاستعمال المنظم للعنف، أو ممارسة «إرهاب الدولة» بغرض توفير الاستمرارية للمبدئين الرابطين للجماعات اليهودية؛ وهما المبدأ الثقافي لليهودية، ومبدأ الأمن.

إن تشظى هوية المجتمع الإسرائيلي التي ازدادت وضوحاً بعد تراجع سيطرة النخبة الإشكنازية وعجزها عن إقامة مجتمع ينسجم مع رؤيتها؛ يدفع في اتجاه تقوية الثقافة والهويات الفرعية الست التي تكشفت بوضوح تام بعد إعلان نتائج انتخابات الكنيست الرابعة عشرة أواخر آيار/ مايو ١٩٩٦ وهي (بدون ترتيب):

- الثقافة المدنية ذات النزعة العالمية التي تستند إلى طبقة وسطى إشكنازية.

- الثقافة الدينية/ القومية ونواتها الصلبة في المستوطنات.

- الثقافة الأصولية الحريدية.

- الثقافة التقليدية الشرقية (السفاردية).

- ثقافة المهاجرين الروس.

- الثقافة العربية وقاعدتها عرب ٤٨.

«وفي وجه جميع هذه الثقافات الفرعية الواضحة الحدود هناك نوع من «ثقافة إسرائيلية» عامة ومفسخة وغير واضحة المعالم والمضامين الاجتماعية بما فيه الكفاية؛ وهي الثقافة الصهيونية التي كانت سائدة يوماً ما، وبالذات بين ستي ١٩٤٨ و١٩٧٧، وتصدّعت سيطرتها المهيمنة سنة ١٩٧٧، ثم تحطمت سنة ١٩٩٦. وداخل هذه الثقافة يُفترض أن تتعايش معاً اليهودية كدين وقومية، والإسرائيلية بحكم المولد (Nativism) وغير المولد، إضافة إلى الصهيونية بمختلف أنواعها»^(١٥).

بالطبع هناك تأثير واضح لضعف الجامع اليهودي/ الصهيوني، وبروز العامل الديموغرافي على السياسة الإسرائيلية في مجالي الأمن والتسوية، ويبدو أن تكثيف استخدام الأداة العسكرية يهدف أساساً إلى تقوية هذا الجامع؛ فالتصعيد العسكري يمكن أن يكتل الداخل الإسرائيلي خلف قياداته (وقد حدث ذلك تكراراً أثناء رئاسة شارون للوزارة).

وكان يحزقيئيل درور (الأستاذ في الجامعة العبرية في القدس) قدّم ورقة عنوانها «الأسس الداخلية للأمن القومي لدولة إسرائيل» في مؤتمر هيرتزليا الأول (١٩ - ٢١/١٢/٢٠٠٠)، وتحدث فيها عن عدة أسس رئيسة للأمن القومي الإسرائيلي، منها:

- إرادة يهودية/ صهيونية.
 - انخراط في الشعب اليهودي.
 - مجتمع مجتد.
 - استعداد للقتل والموت، مع التطلع إلى السلام (نوعية آراء الجمهور).
 - تضامن اجتماعي.
 - كتلة سكانية متعلمة وتمتلك المعرفة وميالة إلى التقنية والعلم.
 - نظام حكم وسلطة.
- وركّز درور على عنصر الإرادة اليهودية/ الصهيونية باعتبارها الأساس الداخلي الأكثر أهمية للأمن الطويل المدى لإسرائيل.
- ويتوقف على هذه الإرادة إمكان تجنيد السكان في إسرائيل، واستعدادهم للقتل والموت في سبيل الحفاظ على الدولة.
- وقال درور: «إن أهم ما يمكن أن يعلمه لحفيده هو كيف تقاتل وتقتل، وحتى تموت في سبيل إسرائيل»^(١٦).
- على صعيد آخر أسهمت حرب لبنان في إعادة تأكيد فلسطينيي ٤٨ على هويتهم العربية، فقد نشر النائب العربي محمد بركة مقالة في صحيفة ידיעות أحرونوت (٦/٨/٢٠٠٦) تناول فيها محنة عرب ٤٨ النفسية جراء الحرب الدائرة بين إسرائيل وحزب الله، ودعوتهم إلى وقفها فوراً.

وقال بركة إن رؤية بلد يحبه عرب إسرائيل يتعرض للدمار على يد سلاح الجو الإسرائيلي «أمر مؤلم»، وشدد على ضرورة أن يعي الجمهور الإسرائيلي حيرة عرب ٤٨؛ لأن «البلد الذي هم فيه مواطنون يحارب الشعب الذي هم إليه يتمنون»، وختم بالقول: إننا عرب فلا تتوقعوا منا أن نكون مسرورين عندما يتعرض إخواننا العرب للقتل^(١٧).

وقد يكون حرص عرب ٤٨ على إبراز هويتهم في هذه المناسبة هو سبب هجوم يهود أولمرت على رئيس حزب التجمع الوطني الديمقراطي النائب عزمي بشارة بالقول: إنني قلق من تصرف القيادات السياسية لعرب إسرائيل (...). وسلوك عزمي بشارة ورفاقه لا يُحتمل. ورداً على الطرح السياسي للتجمع قال أولمرت: «أعارض بشدة أن تتحول إسرائيل إلى دولة لكل مواطنيها. إسرائيل دولة صهيونية يهودية، وستبقى كذلك إلى الأبد... سأعارض بشدة كل تغيير في تعريف طابع الدولة»^(١٨).

إضافة إلى ذلك هاجمت بعض المقالات الصحفية موقف فلسطيني ٤٨ من الحرب على لبنان، واستعادت ذكريات تضامنهم مع فلسطيني الضفة وغزة عندما اندلعت انتفاضة الأقصى في ٢٨/٩/٢٠٠٠، وسقط ثلاثة عشر مواطناً من عرب ٤٨ في مصادمات مع الشرطة الإسرائيلية؛ وهو ما عُرف بهبة أكتوبر/ تشرين أول ٢٠٠٠. وتساءل عوزي بنزيمان في مقالة نشرتها صحيفة هآرتس عن مدى قدرة اليهود والعرب في إسرائيل على العيش معاً، وقال: «لقد تجاوز عرب إسرائيل الخطوط خلال الحرب الأخيرة؛ فلم يترددوا في الكشف صراحة عن تضامنهم مع العدو، وتفضيل ارتباطهم به على التزامهم تجاه الدولة التي هم مواطنون فيها (...). إن التصادم بين ولاء المواطنين العرب لإسرائيل وبين ارتباطهم بالأمة العربية - وليس فقط بالشعب الفلسطيني - أخذ في التفاقم. وأساس هذا التصادم يتمثل في رفضهم مشروعية الفكرة الصهيونية، وهو الرفض الذي تقويه وتدعمه سياسة الظلم الحمقاء والأثمة للحكومات الإسرائيلية المتعاقبة»^(١٩).

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول إن الحرب على لبنان أثرت في الهوية الإسرائيلية في جانبين على الأقل؛ أولهما: إعادة التأكيد على تمايز إسرائيل عن محيطها الذي يموج به الإرهاب الممتد من غزة إلى طهران مروراً بلبنان، بكل ما يعنيه ذلك من استدعاء وتعظيم الخطر الخارجي، بهدف رص الصف الداخلي الإسرائيلي، وتأكيد وحدة الخطر الذي يواجه الدولة العبرية والغرب على حد سواء؛ مما يستوجب التعاون بين الطرفين للقضاء عليه قبل فوات الأوان. والآخر زيادة شقة الخلاف بين فلسطيني ٤٨ والدولة العبرية.

ثانياً، تأثير العدوان على لبنان في نظرية الأمن الإسرائيلي

بالرغم من صعوبة تحديد الأثر النهائي للحرب العدوانية الإسرائيلية على لبنان؛ فإنه بالإمكان تتبع بعض الاتجاهات العامة لتأثيرها في الأمن الإسرائيلي، من خلال تحليل بعض المقالات التي اهتمت بهذا الموضوع في الصحف الإسرائيلية.

لذلك فإن هذه الحالة تعتبر محاور أولية في بابها، ومن ثم يجب إخضاع نتائجها لمراجعات متعددة بعد ظهور آثار تلك الحرب، وتداعياتها بشكل أوضح، وهو أمر يحتاج لفترة قد تطول أو تقصر، بحسب قدرة الأطراف العربية، ومدى استعدادها لتشكيل وحدات خاصة تستلهم نموذج حزب الله في القتال والمقاومة، خصوصاً في جزئيات بعينها؛ مثل: اعتماد نمط القتال المتحرك أو غير المركزي، الذي لا يتمسك بالسيطرة على الأرض؛ وإنما ينطلق من مبدأ «لكل نقطة مقاتلوها»، والسعى لاكتشاف مواطن ضعف جيش الاحتلال الإسرائيلي؛ بهدف زعزعة ثقة الولايات المتحدة بالقدرات العسكرية له، وإحراج الجيش، وإلحاق الأذى بصورته أمام المجتمع الإسرائيلي الذي لا يتحمل حرباً طويلة وخسائر بشرية مرتفعة... إلخ.

يمكن تناول ذلك تفصيلاً عبر الأجزاء التالية: نظرة عامة على مرتكزات نظرية الأمن الإسرائيلي، ودوائر الأمن الإسرائيلي وقضاياها الرئيسية، واتجاهات تعريفه، وتأثير العدوان على لبنان في نظرية الأمن الإسرائيلي.

• نظرة عامة على مرتكزات نظرية الأمن الإسرائيلي

من نافلة القول التأكيد على أن نظرية إسرائيل لأمنها تختلف عن نظرة الدول الطبيعية لأمنها، فالكيانات الاستعمارية لديها «هاجس أمنى» يتخطى بكثير ما لدى الدول العادية؛ «فإسرائيل هي أمة تعيش في محنة كيانية، وهي طرف دائم في نزاع متواصل»، أو كما عبّر عن ذلك إسحاق رابين بمصطلح «الحرب الراقدة»؛ فإسرائيل تعيش في حالة «حرب راقدة»، حتى عندما لا توجد أعمال عدائية موجّهة ضدها بالفعل^(٢٠).

هناك ثلاثة مرتكزات أو أسس للنظرية الأمنية الإسرائيلية هي^(٢١):

١ - «نقل المواجهة إلى أرض الطرف العربى»

كما حدث فى كل الحروب التى بدأتها إسرائيل فى أعوام ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٨٢م، وكذلك فى قرار اجتياح الضفة الغربية أواخر مارس ٢٠٠٢م.

٢ - «الحرب الخاطفة»

حيث يتوجب على الجيش الصهيونى حسم المواجهة مع العدو، وإحراز نصر سريع؛ حيث لا يمكن الاستمرار فى زجّ قوات الاحتياط التى يقع عليها غالبية العبء الحربى أثناء الحروب فى ساحات المعارك لأمد طويل؛ لأن هذا يعنى شلّ الحياة فى الدولة العبرية، بما يؤثر سلباً على سير المعارك فى النهاية.

٣ - «الحاق ضربة قاصمة بالعدو»

فتقصير أمد المواجهة يتطلب من الجيش الصهيونى توجيه ضربة قاصمة، ليس فقط للجيش العربى، بل للعمق المدنى العربى أيضاً، حتى يضطر الطرف العربى للاستسلام، والإذعان للشروط التى تضعها الدولة العبرية لوقف الحرب (وهذا يؤكد أن مذبحه «قانا ٢» فى ٣٠/٧/٢٠٠٦م، ومذبحه بيت حانون فى ٨/١١/٢٠٠٦م لم تحدثا نتيجة أخطاء فنية).

فى هذا السياق يمكن فهم التوجه الأمنى الإسرائيلى، الذى يقوم على افتراض أساسى هو الحاجة الدائمة لاستخدام القوة مع العرب؛ لأنهم لم يسلموا بوجود إسرائيل بينهم، وعلى إسرائيل أن تكون فى حالة تأهب كامل للحرب دائماً، وأن تخوض الحرب - إذا لزم الأمر - لإجهاض أى مخطط عربى لشن الحرب، أو تصعيد المقاومة الشعبية.

يقول موسى ديان فى مقالة بعنوان: «عمليات عسكرية فى زمن السلم»، نشرت فى سبتمبر ١٩٥٥م، ويشرح فيها منطق العمليات الحدودية الانتقامية، التى كانت إسرائيل تشنها على العرب: «هناك أهمية كبرى لنجاحاتنا وإخفاقاتنا فى العمليات الحدودية الصغيرة؛ وذلك ليس فقط لتأثيرها على الأمن الجارى؛ وإنما أيضاً بسبب تأثيرها على تقدير العرب لقوة إسرائيل، وعلى إيمان إسرائيل بقوتها»، فهناك دوافع وأهداف أخرى تحيط بعملية اتخاذ القرار للعمليات العسكرية ذات علاقة بنظرة إسرائيل لذاتها وثقتها بنفسها.

أما شيمون بيريز فقد أكد أن القوة الإسرائيلية وقوة الردع هي التي تجلب السلام في النهاية ؛ لأنه بواسطتها يقتنع العرب بعدم صلاحية الأدوات العسكرية ضد إسرائيل^(٢٢).

إن سيطرة الهاجس الأمنى على المجتمع والدولة فى إسرائيل تعنى أن الأمن يحتل هناك مكانة «القيمة العليا التى لا تضاهيها قيمة» ، يضاف إلى ذلك أن النزعة الأمنية الإسرائيلية تعبّر عن حاجات داخلية ، ولا تأتى استجابة لتحديات خارجية فقط ، فهذه النزعة تمثل جزءاً من عملية بناء الأمة ؛ لأنها نزعة وطنية وحدوية ينضوى تحت لوائها فى زمن الحرب حتى أولئك الذين يبدون كمعارضين لها ، بل إنهم يسعون جاهدين لتبريرها عندما تقع المواجهات^(٢٣) ؛ ولذلك فإن هدف إسرائيل الأساسى من أى حرب هو بلورة إجماع وطنى واسع حول إحباط التهديد الكيانى لوجود الدولة واستقرارها وأمنها ، وهذا يُبرّر القيام بعمليات وقائية عسكرية لحرمان الخصم من قدراته الهجومية ، حتى لو لم يكن فى مقدور إسرائيل إقامة الدليل على وجود نوايا هجومية ضدها أصلاً ، والمثل البارز لذلك هو الهجوم الإسرائيلى على المفاعل النووى العراقى فى يونيو ١٩٨١م^(٢٤).

• دوائر الأمن الإسرائيلى وقضاياها الرئيسية

تختصر إسرائيل التهديدات المحتملة ضد أمنها وسلامتها فى ثلاث دوائر^(٢٥) :

١ - **الدائرة الداخلية** : التى تشمل فلسطين التاريخية من البحر المتوسط إلى نهر الأردن ، ويحدث التهديد فى حال قيام أنشطة مقاومة أو حرب عصابات أو أشكال متطورة من الانتفاضة ، أو إطلاق صواريخ فلسطينية نحو العمق الإسرائيلى . . . إلخ . . . وقد يكون هذا المستوى من التهديد منخفض الحدة ، ولكنه سيدفع إسرائيل إلى استخدام القوة بعنف لمنع تطور هذا التهديد أو تصاعد حدته .

٢ - **الدائرة التقليدية** : التى تضم الجيوش العربية ، بدون تمييز بين ما هو قريب أو ما هو بعيد عنها ، وبين الدول الموقّعة لاتفاقات سلام مع إسرائيل أو غير الموقّعة .

وهذه الدائرة مصدر لتهديدات تقليدية تشتمل على عمليات برية وجوية ، وإذا حدث ذلك على إسرائيل أن تبادر بخوض حروب تقليدية ، سواء على عدة جبهات فى آن واحد ، أو على جبهة محدودة .

٣- الدائرة غير التقليدية: التي تمتد لتشمل جيوش كل الدول الشرق أوسطية، التي يمكن أن تستخدم - وهذا هو سبب تسميتها دائرة غير تقليدية - صواريخ باليستية من قواعد ثابتة أو متحركة، تحمل رؤوساً تقليدية وغير تقليدية، وتشن حرباً صاروخية ضد أهداف عسكرية ومدنية في عمق أراضي إسرائيل، ومرافقها الإستراتيجية، ومؤخرتها المدنية.

في ضوء هذا التحديد الدقيق لمصادر التهديد المحتملة تبرز عدة قضايا رئيسة؛ وهي مطروحة للنقاش دائماً في موضوع الأمن الإسرائيلي، منها:

(أ) العلاقة الجدلية بين أمن إسرائيل ودرجة انخراطها في عملية السلام، والوتيرة التي تسير بها.

(ب) العلاقة بين الأمن الإسرائيلي، والتطورات الإقليمية والدولية مثل: صعود الإسلام السياسي، أو وجود نظم متشددة في موقفها من الدولة العبرية مثل: إيران ما بعد الثورة، والعراق في ظل حكم حزب البعث، أو حدوث انتشار صاروخي، وزيادة كميات الصواريخ ونوعياتها في المنطقة، أو انتشار أسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط، خصوصاً في ظل سعي إيران لامتلاك سلاح نووي، وامتلاك باكستان له بالفعل.

(ج) كيفية تحقيق الأمن الإسرائيلي: إما بالمزيد من التسلح، وتطوير القدرات العسكرية (وهو تيار متأثر بالمدرسة الواقعية في العلاقات الدولية)، أو تحقيقه من خلال علاقات تعاون إقليمية نشطة في كافة القضايا (وهو تيار أضعف كثيراً من السابق، ومن رموزه وزير الخارجية الأسبق موسى شاريت، وكذلك شيمون بيريز، الذي ما زال مؤمناً بهذا الطرح، ويعيد تشكيله من آن لآخر).

(د) كيف يؤثر قيام دولة فلسطينية مستقلة على الأمن الإسرائيلي؟

(هـ) العلاقة بين أمن إسرائيل، ومستوى العلاقة التحالفية مع الولايات المتحدة.

(و) العلاقة بين الأمن الإسرائيلي، والعامل الديموجرافي، وتدفق أو انحسار الهجرة اليهودية إلى البلاد^(٢٦).

يمكن القول إن جميع هذه القضايا السّت أثّرت بعد أن توقفت الأعمال العدوانية العسكرية الإسرائيلية على لبنان في ١٤/٨/٢٠٠٦م، وأحياناً دار النقاش حولها أثناء العدوان، ووصل إلى حد الاحتدام.

لكن من المهم جداً في هذا السياق إدراك أن ما أصاب مفهوم الأمن الإسرائيلي - سواء في بُعد الشخصى، أم في بُعد القومى الإستراتيجى - من ضرر لم يكن بفعل العدوان على لبنان فقط، وإنما هو حصيلة لتفاعل عدد من العوامل المركبة (مثل: عودة الشعب الفلسطينى إلى المقاومة، ولا سيما غط العمليات الاستشهادية فى العمق الإسرائيلى، وتزايد قوة إيران، وامتلاكها أدوات تساومية جديدة بفعل الأخطاء الأمريكية المتراكمة فى العراق والمنطقة ككل... إلخ)؛ فعلى صعيد الأمن الشخصى كان القادة الإسرائيلون يشددون - وأحياناً يزايدون - على قيمة الأمن، إلا أن شعور الجمهور بفقدان الأمن والخوف على الحياة قد تزايد طيلة سنوات انتفاضة الأقصى، بسبب العمليات الاستشهادية التى شنها الناشطون الفلسطينيون فى العمق الإسرائيلى^(٢٧).

لكن هذا الشعور ارتفع إلى معدل غير مسبوق أثناء العدوان الأخير على لبنان؛ حيث تعالت أصوات النقد الداخلى الشديد بسبب إخفاق الدولة فى حماية مواطنى الشمال، الذين تعرضت مدنهم، ومستعمراتهم للقصف الصاروخى الكثيف.

يقول الكاتب الإسرائيلى إيتان هابر: «لقد تحطم فى الحرب الأخيرة على لبنان شىء ما أساسى؛ هو الثقة بين المواطن الإسرائيلى وحكومته وقياداته، وتخلّقت بينهما أزمة ثقة لم يسبق لها مثيل من قبل، حتى فى الساعات الصعبة، ما بعد حرب يوم الغفران؛ أى حرب أكتوبر ١٩٧٣م»^(٢٨).

ولعله مما يزيد من رعب الكيان الصهيونى وقلقه - باعتباره مجتمعاً عسكرياً قائماً على القوة أساساً - ضمور طاقاته الحربية مع مرور الزمن بفعل صمود المقاومة الشعبية فى لبنان وفلسطين، الذى يتزامن مع إصرار إيران على امتلاك تكنولوجيا نووية.

ولا يجب أن ننسى أيضاً تزايد القلق داخل إسرائيل بسبب العامل الديموجرافى الذى شكّل أحد المبررات التى ساقها شارون للترويج لسياسة الانفصال أحادى الجانب، عندما قال فى ٢٨/٦/٢٠٠٥م: إن الانسحاب من قطاع غزة ناجم عن حقيقة كونه منطقة لا أمل فى تأمين غالبية يهودية فيه، وواضح للجميع أنه لن يكون جزءاً من دولة إسرائيل فى أى اتفاق للتسوية الدائمة^(٢٩).

واعتقد أن أهم تأثيرات تلك الحرب يتعلق بشكل العلاقة التحالفية بين الولايات المتحدة وإسرائيل، ومكانة إسرائيل الإقليمية والدولية، ولعل أوضح ما قيل عن ذلك هو ما كتبه

جدعون ليفى فى ها آرتس (١٣/٨/٢٠٠٦م)؛ حيث كتب: تُوشك إسرائيل أن تخرج من هذه الحرب ليست العليا (...)، لكن الهزيمة فى هذه الحرب الصغيرة تُعلّمنا درساً مهماً فى المستقبل، وربما تؤثر علينا، وتدفعنا لتغيير لغة حديثنا مع جيراننا (أى تغيير لغة العنف والقوة)؛ فالبدء القاتل بأن «إسرائيل لا يمكن أن تسمح لنفسها بالهزيمة فى ميدان المعركة» أصبح فكرة جوفاء؛ فالفشل قد لا يفيد إسرائيل فقط؛ وإنما قد يمنحها درساً مهماً تُعلّمه للأمريكيين مفاده أنه لا داعى لدفع إسرائيل إلى القيام بمغامرات عسكرية (...)، ليس من الصعب تخيل ماذا كان سيحدث لو أن حزب الله قد هُزم فى غضون بضعة أيام من الجو، كما وعدنا قادة الجيش الإسرائيلى بغطسة منذ البداية.

لقد كانت الولايات المتحدة تدفعنا نحو صدام عسكرى مع سوريا، ونشوة النصر كان من الممكن أن تغرينا، وكان الدور القادم سيكون على إيران، وفى غضون ذلك كنا ستعامل مع الفلسطينيين، والمحصلة النهائية هى محاولة حل القضية الفلسطينية من جذورها عن طريق المحو والقصف والقذف... ربما لن يحدث ذلك الآن؛ لأننا اكتشفنا أن قوة الجيش الإسرائيلى محدودة أكثر مما أبلغونا.

ومن المتوقع أن تعمل قدرة الردع الآن فى الاتجاه المعاكس، بمعنى أن تعيد إسرائيل التفكير قبل الإقدام على مغامرة عسكرية أخرى خطيرة (...)، وربما يتمثل الإنجاز الذى تحقق من وراء هذه الحرب فى ترسخ الفشل فى الوعي الإسرائيلى، وفى إمكانية لجوء إسرائيل إلى طريق جديد أقل عنفاً، وأقل وحشية، وذلك بفضل الفشل فى حرب الأيام الستة (١٩٦٧م). كتب إفرايم كيشون: «أسف لقد انتصرنا»، وهذه المرة (بعد الحرب على لبنان ٢٠٠٦م) يمكن القول: «حسناً إننا لم نتصر»^(٣٠).

طبعاً ليس هذا هو الاتجاه الوحيد، وهو الأضعف على أى حال، فالاتجاه الأقوى هو الذى يتحدث عن مراجعة أخطاء الجيش فى الحرب على لبنان، وتطوير إستراتيجياته لمواجهة التحديات المستقبلية؛ أى معالجة القصور فى الأداء العسكرى، وليس فى التوجه السياسى العام للدولة؛ فمثلاً اعتبر شيمون بيريز - نائب رئيس الوزراء - فى مقالة نشرتها صحيفة الجارديان البريطانية؛ أن على إسرائيل استخلاص الدروس من الحرب فى لبنان، وإعادة النظر فى مقاربتها للمسائل العسكرية (...): لقد اخترنا فى لبنان شكلاً جديداً من أشكال القتال. مؤكداً أن على إسرائيل التركيز على التكنولوجيا الجديدة، خاصة الإنسان الآلى المسير عن بُعد الذى يعمل فى ساحة المعركة. مع الاحتفاظ بقواتها الدفاعية

التقليدية لمواجهة أى هجوم محتمل من جيش كلاسيكى، ويُشَرِّب يريز الإسرائيليين بتطوير منظومة جديدة من الأسلحة الرادعة، مؤكداً أنه منذ اليوم يمكن القول: إن فى إسرائيل مجموعة من العلماء الممتازين القادرين على إنشاء منظومة أسلحة ووسائل دفاعية حديثة وجديدة: «تكنولوجيا دقيقة وصغيرة - Nano Tech»؛ مما يمكِّن الجيش من إصابة أفراد العدو، وتوفير حماية شخصية لجنوده^(٣١).

أما إسرائيل هارثيل فكتب مقالة ذات عنوان شديد الإيحاء: «إسرائيل بحاجة لإستراتيجية الضربات الاستباقية قبل أن تتحول إلى مكان خطير على اليهود أنفسهم»، وقال فيها: «إخفاقات لبنان قد تكرر نفسها بصورة أشد صعوبة إذا لم تتغير النظرة إلى الأمن القومى، فأغماط التفكير الميدانية التى سيطرت إبان الحرب فى لبنان ستبقى مهيمنة على الوعى والقتال فى الحرب الوجودية التى ستفرض علينا ضد إيران (...). هناك إجماع على أن حرب لبنان نشبت متأخرة لسنوات عدة، كل ذلك فى الأساس بسبب قيود الشرعية التى قيدت إسرائيل بها نفسها طوال أكثر من ثلاثة عقود، نحن تنازلنا بأيدينا عن النظرية التى قامت عليها الرؤية الأمنية، والحياة فى إسرائيل: الحق فى الهجوم المضادة المسبقة، فبسبب سيطرة السعى لتوخى النهج السليم سياسياً وعسكرياً أخرجنا من النقاش الحق فى توجيه ضربة مضادة وقائية (هذا تكرر مع مصر عام ١٩٦٩م، وفى حرب يوم الغفران، وفى عدم ضرب حزب الله خلال السنوات الست الماضية).

إن مشاعر عدم الشرعية كانت أحد العوامل من وراء تجنب العملية العسكرية البرية أيضاً فى الحرب الأخيرة على لبنان، وعدم القدرة على هزيمة حزب الله؛ وهذا ما سيحدث أيضاً عندما سنكون على قناعة مثلما حدث عشية حرب الغفران بأن سوريا توشك على الهجوم، هذا ناهيك عن إيران التى قد تبدأ بالهجوم. الجبهة الداخلية هى التى ستدفع الثمن مرة أخرى، وبأحجام ومقاييس لم نعهدها من قبل. من دون التوبة فى هذه القضية المصيرية (أى من دون عودة مُعلنة وخالية من التعقيدات لنظرية الضربة المضادة المسبقة)؛ سيكون الملجأ الآمن لليهود (أى دولة إسرائيل) هو أخطر مكان عليهم، وعلى وجودهم^(٣٢).

ويرى الكاتب رون تيرا أن جوهر الفشل الإسرائيلى فى حرب لبنان يكمن فى الانحلال الذى لحق بالتصورات الإسرائيلية للقوة العسكرية، وكيفية استخدامها؛ حيث ساد التصور بأن التهديد الجوهري لدولة إسرائيل يأتى من الدول الواقعة فى الدائرة الثانية مثل إيران التى

أشار إليها هذا المقال تحت مصطلح الدائرة غير التقليدية، ومن الفلسطينيين؛ أى الدائرة الداخلية وليس من الدائرة الأولى؛ أى الدائرة التقليدية التى تشمل الدول العربية المحيطة بإسرائيل (وهو يقصد لبنان بالطبع).

ويقول تيرا: لقد ساد الانحلال على ثلاثة مستويات:

١ - الاعتقاد الذى ساد خلال العقد الأخير بأن احتمالية اندلاع الحرب مع الدول المحاذية لإسرائيل متدنية.

٢ - الاعتقاد بأنه إذا اندلعت الحرب فى الدائرة الأولى . . رغم ذلك فإنه يكفى إسرائيل أن تقوم بكبح العدو بواسطة نيران دقيقة (أى قصف مدفعى وجوى)، وأنه لا توجد أهمية للمناطق البرية، وللتدريبات الأرضية فى عمق العدو.

٣ - التبنى المتحمس جداً لأفكار العمليات الموجهة التى يتبناها الجيش الأمريكى؛ وهى أفكار تهدف لشل الخصم، وليس إبادته من خلال ضرب قياداته ووسائل اتصالاته، وبعض مواقعه المركزية (مثلما فعلت أمريكا فى العراق ٢٠٠٣م)، لكن الأمريكين أنفسهم اعتبروا أن تطبيق هذه الأفكار يفترض توفر ثلاثة شروط:

(أ) أن العدو مبنى كجهاز منظم.

(ب) أن بهذا الجهاز مفترقات حاسمة مثل: مراكز اتصال وإمدادات.

(ج) أن جهاز العدو ومواقعه المركزية الحاسمة معروفة جيداً للطرف المهاجم. (وواضح أن الكاتب لا يرى أن أيًا من هذه الشروط الثلاثة ينطبق على حالة حزب الله).

ويختم بقوله: «من المحتمل أن تكون حرب لبنان ٢٠٠٦م هى فيستام إسرائيل؛ فإسرائيل حاولت مثلما فعلت أمريكا فى فيستام؛ إخضاع تنظيم عصابات بواسطة القصف المدفعى والجوى، من دون مناورات مكثفة، واستخدمت قواتها بصورة متدرجة، بينما انكسرت الرغبة الشعبية فى ظل تزايد عدد المصابين، كما أن الدولة لم تقاتل بنية وعزيمة صافية، ومن خلال الالتزام بالانتصار.

الأنباء السيئة هى أننا فشلنا، أما الأنباء الجيدة فهى أن قواتنا النظامية والاحتياطية هى قوات جيدة وشجاعة وباسلة، وفى هذه المرة تم استخدام هذه القوات بصورة غير صحيحة، لكن إسرائيل نهضت على أصوات صحوة الواقع، وحصلت على فرصة ثانية لتدارس أوضاعها وتحسين قدراتها»^(٣٣).

استناداً إلى ما سبق يمكن توقع ما يشبه «الثورة» في إعادة هيكلة الخطط العسكرية للجيش الصهيوني، وقد كلفت حكومة إيهود أولمرت بالفعل دان ميريدور بتشكيل لجنة تحت رئاسته لتغيير النظريات العسكرية الحربية، التي لم تتغير منذ عهد بن جوريون، وقد بلورت اللجنة مفهوماً جديداً للأمن الإسرائيلي استناداً إلى المرتكزات التالية^(٣٤):

١ - إن تهديد الحرب التقليدية من قبل العرب لم يعد يشكل التهديد المركزي لإسرائيل.

٢ - يجب توظيف طاقات أكبر في مواجهة التهديد النووي الإيراني.

٣ - إن أساليب الردع القديمة لم تعد عملية في مواجهة مقاتلي العصابات.

٤ - هناك ضرورة للتزود بالمزيد من الطائرات بدون طيار من أجل حماية الطيارين.

خاتمة

لدى صانع القرار الإسرائيلي في الفترة المقبلة خيارات متعددة، لكن البيئة الإستراتيجية المحيطة بالدولة تشهد تغييرات حقيقية؛ حيث تزايد عملية التعقيد فيها، ويبدو أن الرؤى المختلفة في كيفية تحقيق الأمن الإسرائيلي ستبقى متصارعة، ولن يُحسم الجدل لصالح أحدها بسرعة.

من أجل ذلك يشكل استخدام الأداة العسكرية خياراً سهلاً أمام صانع القرار، لا سيما أن إستراتيجية الضربات العسكرية المتقطعة ضد الشعب الفلسطيني لها مردود داخلي إسرائيلي إيجابي؛ حيث تُقنع الجمهور بأن قياداته السياسية والعسكرية لا تدخر وسعاً لحماية أمنه الشخصي.

يصعب في الحقيقة توقع ازدهار التيار المنادي بضمان الأمن الإسرائيلي عن طريق إقامة علاقات تعاونية مع المحيط الإقليمي، ويبدو أن انضمام حزب إسرائيل بيتونيا لحكومة أولمرت هو مؤشر كافٍ يقول: إن أبواب السلطة باتت مشرعة أمام اليمين الإسرائيلي المتطرف.

وحتى لو افترضنا أن قيادات اليمين لا تحظى بالشعبية أو الجماهيرية في ظل تدهور، أو أزمة القيادة في إسرائيل بعد غياب شارون؛ فإن قيادات اليمين هي الأقدر على التجاوب

مع متطلبات المواطن الإسرائيلي الذى ما زال مؤمناً بأن ما تفشل إسرائيل فى تحقيقه بالقوة يمكن تحقيقه بالمزيد من القوة .

باختصار تتجه الأمور نحو صدام واسع بين قوات الاحتلال وقوى المقاومة الفلسطينية فى غزة، وإسرائيل ستبذل جهدها لإقناع الغرب وأمريكا خصوصاً بالتعامل مع الملف النووى الإيرانى، فإن فشلت فلا مناص من أن تأخذ خيارها بيدها، والحصيلة أن عملية التسوية السياسية للصراع العربى/ الإسرائيلى ستدخل إلى مرحلة أخرى من السُّبات العميق، ويبقى خيار القوة الإسرائيلى قائماً إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً.

الهوامش :

- ١ - ورد في: إحسان مرتضى، «الأمن القومي الإسرائيلي بين الثوابت والمتغيرات»، شئون الشرق الأوسط، العدد ١١٥، صيف ٢٠٠٤، ص ٤٨.
- ٢ - راجع تصريحات إيهود أولمرت في صحيفة الحياة ١٧/١١/٢٠٠٦.
- ٣ - المصدر السابق.
- ٤ - لمزيد من التفاصيل: صحيفة الحياة ١٨/١١/٢٠٠٦.
- ٥ - انظر: د. عزمى بشارة، التداعيات على إسرائيل، في: د. أحمد يوسف أحمد وآخرون، الحرب الإسرائيلية على لبنان: التداعيات اللبنانية والإسرائيلية وتأثيراتها العربية والإقليمية والدولية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦، ص ١٧٦، وأيضاً: سكوت ولسون، أسلحة بدائية قد تعرض الدولة العبرية لانتفاضة باليتية: حرب الصواريخ.. تحد جديد لإسرائيل، صحيفة الاتحاد، (الإمارات)، ٢٠/٧/٢٠٠٦. وكذلك: د. هشام الحديدي، «ماذا تعنى نتائج الحرب السادسة»، الأهرام، ١٥/٨/٢٠٠٦.
- ٦ - أسس أفغدور لبرمان حزب «يسرائيل بيتينو» (إسرائيل بيتنا) في عام ١٩٩٩، وحصل الحزب في انتخابات الكنيست الخامسة عشرة على ٤ مقاعد، ثم حصل في الانتخابات التالية عام ٢٠٠٣ على ٧ مقاعد ضمن كتلة الاتحاد القومي. وبفضل دهاء لبرمان خاض الحزب الانتخابات السابعة عشرة للكنيست في مارس ٢٠٠٦ منفرداً بدون الدخول في كتلة أخرى، فحصل على ١١ مقعداً؛ حيث كان للتصويت الاجتماعى هنا أثر ملحوظ؛ حيث ذهبت أغلب أصوات اليهود الروس لحزب لبرمان، وهم يمثلون ١٦,٥٪ من مجموع أصحاب حق الاقتراع في إسرائيل. راجع: ريمون ماهر كامل، معسكر اليمين.. تراجع الليكود وصعود كاديما، في: د. عماد جاد (محرر)، انتخابات الكنيست السابعة عشرة: تقدم معسكر الوسط، القاهرة مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٦، ص ١٢١.
- ٧ - ينبغي الإشارة إلى أن بعض الدراسات العربية الجادة كانت قد أطلقت على انتفاضة الأقصى «الحرب العربية/ الإسرائيلية السادسة»، خصوصاً بعد اجتياح قوات الاحتلال للضفة الغربية أواخر مارس ٢٠٠٢، لكن هذا المصطلح لم ينتشر على أى حال. راجع على سبيل المثال: أحمد إبراهيم محمود، «الحرب العربية/ الإسرائيلية السادسة: الإستراتيجيات العسكرية للمواجهة بين الفلسطينيين وإسرائيل»، في: د. عماد جاد (محرر)، انتفاضة الأقصى: طموح الفكرة وأزمة الإدارة، (القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٢)، ص ص ٢٠٥ - ٢٩٢.
- ٨ - أصدر الكاتب البريطاني مارتين وولاكوت كتاباً عنوانه «ما بعد السويس - After Suez» قارن فيه بين تورط بريطانيا في العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وبين تورط الولايات المتحدة وبريطانيا في غزو العراق ٢٠٠٣، وخلص إلى أن عدم نجاح واشنطن ولندن في العراق سيؤدى إلى تغيير جذرى في الرؤى الإستراتيجية للتعامل مع العالم العربى فيما بعد العراق. راجع أحمد أصفهاني، «هل تساعدنا حرب السويس على فهم نتائج غزو العراق»، صحيفة الحياة، ٢٤/١١/٢٠٠٦.
- ٩ - د. عزمى بشارة، مصدر سابق، ص ١٧٥.
- ١٠ - راجع في هذا المعنى: د. جمال حمدان، ٦ أكتوبر في الإستراتيجية العالمية، سلسلة كتاب الهلال، (القاهرة: دار الهلال، أكتوبر ١٩٩٧، العدد ٥٦٢)، ص ص ٤١٦ - ٤٢٠.

- ١١ - انظر المصدر السابق، ص ٢٢٠ .
- ١٢ - راجع . موجز يوميات الوحدة العربية عن شهر آب/ أغسطس ٢٠٠٦، المستقبل العربي، العدد ٣٣٢، أكتوبر/ تشرين أول ٢٠٠٦، ص ٢٠٨، والرقم ورد في صحيفة السفير ٢٠٠٦/٨/١٣ .
- (**) هذه الأوصاف للمجتمع الإسرائيلي وردت على لسان العالمين الإسرائيليين إسرائيل أومان وأهارون تشاخوفر الفائزين بجائزة نوبل لعام ٢٠٠٦ في حديث لهما مع صحيفة «يديعوت أحرونوت» . راجع صحيفة الحياة ٢٨/١٠/٢٠٠٦، ص ٤، وأيضاً: رشيد قويدر، إسرائيل وتداعيات إخفاق القوة، صحيفة الحياة ٤/١١/٢٠٠٦، ص ١٠ .
- ١٣ - راجع تصريحات بيريز في الحياة، ٢٦/٧/٢٠٠٦ .
- ١٤ - بتصرف عن: جدعون ليفي، حرب سلامة الجيش الإسرائيلي، هآرتس ١٦/٧/٢٠٠٦، مترجم في: أحمد أبو هبة، ٣٣ يوم حرب على لبنان: أطول الحروب وأكثرها فشلاً وتكلفة، القاهرة، مركز الدراسات الفلسطينية، توزيع مكتبة مدبولي، ٢٠٠٧، ص ١٤١ - ١٤٣ .
- ١٥ - باروخ كيملرلينغ، «حرب ثقافات»، هآرتس ٦/٧/١٩٩٦ مترجم في: مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٢٧، صيف ١٩٩٦، ١٠٥ - ١٠٧ . وحول محاولة اختراع هوية إسرائيلية موحدة انظر:
- Baruch Kimmerling, The Invention and Decline of Israeliness: State and Society, Berkeley and Los Angeles: University of California Press, Military 2001.
- ١٦ - راجع: إلياس شوفاني، «مؤتمرات هيرتسليا الأربعة السابعة»، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٦٠/٦١، خريف ٢٠٠٤/ شتاء ٢٠٠٥، ص ١٤٩ .
- ١٧ - انظر: محمد وقيف، «الصحافة الإسرائيلية»، الاتحاد (الإمارات)، ٩/٨/٢٠٠٦ .
- ١٨ - راجع صحيفة الحياة ٢٩/٩/٢٠٠٦ .
- ١٩ - عوزي بنزيمان، «عرب إسرائيل يتخطون الحدود»، هآرتس ٢٠/٩/٢٠٠٦، مترجم في: مختارات إسرائيلية، العدد ١٤٢، أكتوبر، ص ٥٨ - ٥٩ .
- ٢٠ - انظر: دان هوروفيتس، الثابت والمتغير في النظرية الأمنية الإسرائيلية، في: أ. إيلون وآخرون، الثابت والمتغير في الاستراتيجية الإسرائيلية، ترجمة: المنار للصحافة والنشر المحدودة، نيقوسيا، ١٩٨٦، ص ٣٣ - ٣٤ .
- ٢١ - راجع على سبيل المثال: صالح النعامي، حرب لبنان . وسقوط نظرية الأمن الإسرائيلي، موقع الإسلام اليوم، في ١٥/٨/٢٠٠٦م على الرابط:
- www.Islamtoday.net/print.cfm?artid=7776.
- ٢٢ - بتصرف عن: د. عزمى بشارة، من يهودية الدولة حتى شارون: دراسة في تناقض الديمقراطية الإسرائيلية، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥م)، ص ٩٢ .
- ٢٣ - المصدر السابق، ص ٩٤ .
- ٢٤ - راجع: دان هوروفيتس، مصدر سابق، ص ٣٥ - ٣٧ .
- ٢٥ - نقلاً عن الدراسة القيّمة للدكتور هيثم الكيلاني وعنوانها: دراسة في مستقبل القوة العسكرية الإسرائيلية، في: د. أحمد صدقي الدجاني (منسق)، الحركة الصهيونية والصراع العربي/ الإسرائيلي في مائة عام: دروس الماضي وآفاق المستقبل . (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية. ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٥٢ - ١٥٣).

- ٢٦- انظر: د. حسن برارى، أمن إسرائيل: صراعات الأيديولوجيا والسياسة، كراسات إستراتيجية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، العدد ١٤٣، سبتمبر ٢٠٠٤م، ص ١٥ - ٢١.
- ٢٧- لمزيد من التفاصيل راجع: د. إبراهيم أبو جابر، «الانعكاسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية للانتفاضة على إسرائيل»، مجلة دراسات شرق أوسطية، (عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط)، العدد ١٤، السنة الخامسة، شتاء ٢٠٠٠/٢٠٠١، ص ٣٠.
- ٢٨- إيتان هابر، «زيادة القلق الإسرائيلي من قدرة إيران النووية بعد إجراء كوريا الشمالية لتجربتها»، يديعوت أحرونوت، ١٠/١٠/٢٠٠٦م، مترجم في صحيفة القدس العربى، ١١/١٠/٢٠٠٦م.
- ٢٩- انظر: توفيق المدينى، مفاجأة عجز القوة الصهيونية، حوار العرب، (بيروت: مؤسسة الفكر العربى)، العدد ٢٣، أكتوبر ٢٠٠٦م، السنة الثانية، ص ٨٩، وحول تصريح شارون راجع: صحيفة الحياة ٢٩/٦/٢٠٠٥م، ص ١.
- ٣٠- جدعون ليفى، «بفضل الفشل»، هآرتس ١٣/٨/٢٠٠٦م، مترجم فى: مختارات إسرائيلية، العدد ١٤١، سبتمبر ٢٠٠٦م، ص ٤٦- ٦٥.
- ٣١- نقلاً عن: نواف الزرو، تساؤلات على الأجندة الحربية الإسرائيلية بعد الهزيمة، الجزيرة نت، الأحد ٢٤/٩/٢٠٠٦م على الرابط:
- www.aljazeera.net/NR/exeres/BAEDSFEA-C828-4F89-99F9-DDB98AA9C439.htm.
- ٣٢- نقلاً عن: إسرائيل هريئيل، «إسرائيل بحاجة لإستراتيجية الضربات الاستباقية قبل أن تتحول إلى مكان خطير لليهود أنفسهم: بقاء الجنرالات الذين خسروا الحرب فى مناصبهم يعنى مواصلة الإخفاقات»، هآرتس ٢١/٩/٢٠٠٦م، مترجم فى: القدس العربى، ٢٢/٩/٢٠٠٦م.
- ٣٣- نقلاً عن: رون تيرا، «إسرائيل فشلت بسبب إستراتيجيتها القديمة، وحرب لبنان الثانية هى فيتنام إسرائيل»، هآرتس ٨/٩/٢٠٠٦م، مترجم فى القدس العربى، ٩/٩/٢٠٠٦م.
- ٣٤- راجع: نواف الزرو، مصدر سابق.

٢١- أثر الحرب على الداخل اللبناني؛ الأزمة وأبعادها الإقليمية والدولية

د. رضوان السيد (*)

مقدمة

لا شك أن لبنان دولة مختلفة في أبعادها السياسية وأزماتها الداخلية عن مصر بشكل كبير؛ فمنذ إبرام اتفاق القاهرة عام ١٩٦٠ في عهد الرئيس جمال عبد الناصر، الذي حضره وزير الدفاع اللبناني وياسر عرفات، إلا أن الأمور لم تستقر في لبنان حتى الآن.

فالدستور اللبناني كان قديماً ينص على أنه من حق رئيس الجمهورية تعيين وإقالة رئيس الوزراء، أما حديثاً فلا يحق له ذلك، يضاف إلى ذلك أنه في السبعينيات قامت الحكومة اللبنانية بسحب الجيش اللبناني من الجنوب، وتركه لقوات المقاومة للدفاع عن الجنوب ضد إسرائيل.

على جانب آخر وبعد قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، وهجرة العديد من الفلسطينيين إلى لبنان؛ فقد استقبلهم السنة في لبنان، وأعطوا لهم أرضاً، وازدادت العلاقة بين السنة والفلسطينيين المهاجرين إلى لبنان، حتى إنه في عدد من المخيمات في لبنان كانوا يطلقون على الفلسطينيين جيش السنة.

من ناحية أخرى ونتيجة للصراع بين السنة والفلسطينيين من جانب، والقوى والطوائف اللبنانية من جانب آخر سواء مسيحيين أو شيعة؛ حدثت الحرب الأهلية في لبنان في السبعينيات، ثم تبع ذلك خراب ودمار في لبنان، يضاف إلى ذلك الغارات الجوية الإسرائيلية على جنوب لبنان، التي أدت إلى صعوبة الموقف؛ فالحكومة كانت عاجزة إلى حد ما وقت ذلك عن السيطرة على الموقف.

(*) أستاذ الفكر الإسلامي - والمستشار السياسي لرئيس الوزراء اللبناني فؤاد السنيورة.

لقد جاء التدخل السوري في لبنان في الوقت الذي كانت فيه القوى الوطنية مع الفلسطينيين تحقق مكاسب على المسيحيين ، ونحن نعلم جيداً أن دخول السوريين في الجيش اللبناني كان بإذن من الولايات المتحدة والغرب الأوروبي ، وكان تواجدهم بشرط موافقة إسرائيل أيضاً ، وكان لا يسمح لهم بالتواجد في الجنوب اللبناني ، والهدف الأمريكي والإسرائيلي من إشراك السوريين في الجيش اللبناني هو القضاء على القوى الوطنية في الداخل ، سواء الإسلاميين السنة ، أو الفلسطينيين المهاجرين ، ونجحوا في ذلك عن طريق طرد ياسر عرفات ورفاقه من بيروت ، وضرب المخيمات بسلاح سوري مستخدمين حركة أمل كيد للتنفيذ ، ولكن كان في ذهن القيادة الإسرائيلية أن السوريين لا يستطيعون القضاء بسرعة على القوى الوطنية ، فلعجؤوا إلى احتلال لبنان عام ١٩٨٢ فيما عرف بعد ذلك بمذبحة صبرا وشاتيلا في الجنوب اللبناني على يد شارون . ومنذ عام ١٩٨٢ - ١٩٨٩ استمرت لبنان في صراع دائم .

عام ١٩٨٩ شهد عقد اتفاق الطائف وتوزيع السلطة في الداخل اللبناني (٥٥٪ من السلطة للمسيحيين ، و ٤٥٪ من السلطة للمسلمين ، ولكن مع زيادة عدد المسلمين أصبح تقاسم السلطة كالتالي : ٥٠٪ للمسيحيين و ٥٠٪ للمسلمين) ، وأن يكون رئيس الجمهورية مسيحياً مارونياً ، ورئيس الوزراء مسلماً سنياً ، وتمثل الطوائف في لبنان في البرلمان على حسب عدد سكانها .

وبعد اتفاق الطائف وتقاسم السلطة ظل ١٥٪ من الأرض اللبنانية محتلة على يد إسرائيل . . ونريد أن نؤكد أنه بعد اتفاق الطائف أصبحت كل من سوريا والسعودية تلعب دوراً قوياً داخل لبنان ؛ حيث أصبح رئيس الوزراء الحريري مخصصاً للاقتصاد والازدهار اللبناني ، وحزب الله للمقاومة والدفاع في الجنوب اللبناني ، وباقي الحركات الوطنية المسلحة تتحرك داخل لبنان . وبذلك أطلقت الإدارة الأمريكية اليد السورية في لبنان بعد إرسال سوريا قوات إلى الكويت عقب احتلال صدام للكويت ، وكان ذلك مكافأة أمريكية لها .

ونلاحظ أيضاً أن سوريا كانت تميل إلى إيران في حربها مع العراق ، وكانت تلعب دور الوسيط بين السعودية وإيران ، وهناك تركيز للوجود السوري الإيراني في الجنوب اللبناني .

ومنذ عام ٢٠٠٠ إلى عام ٢٠٠٦ حدثت تغييرات كثيرة أثرت على الوجود السوري السعودي في لبنان؛ فبعد موت حافظ الأسد وتولى بشار الأسد الحكم ضعف الوجود السوري، خاصة بعد مقتل الحريري وما تلاه من خروج سوريا من لبنان، يضاف إلى ذلك أيضاً أن الحريري كان رمزاً للوجود السعودي، بما يحد من الوجود والوصاية السورية في لبنان، ومقتله في ٢٠٠٥ كان سبباً رئيسياً في تردى الوجود السوري السعودي في لبنان، وحدثت بعد ذلك انتخابات برلمانية غيرت مجرى الحياة السياسية في لبنان.

على الجانب الآخر وبعد انسحاب الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان على يد حزب الله؛ انتشر حزب الله في لبنان وأصبح هو المقاوم الرئيس في الجنوب، وحدثت عمليات شد وجذب بين حزب الله وإسرائيل في مزارع شبعا التي تعترف إسرائيل أنها جزء من سوريا، وليست جزءاً من لبنان، وأنها تحتلها لأن مزارع شبعا جزء من هضبة الجولان، وإسرائيل تحتل الجولان، وتريد سوريا من إسرائيل الاعتراف أمام الأمم المتحدة أن مزارع شبعا جزء منها حتى يتأتى لها التفاوض بشأنها.

بعد اغتيال الحريري وحدثت انتخابات برلمانية وخروج الجيش السوري من لبنان؛ بدأت سوريا تميل إلى إيران، وتشكل محوراً إقليمياً معها، وتغيرت الخريطة السياسية. ومن الجدير بالملاحظة أن كل الاتجاهات التي كانت تؤيد الوجود السوري في لبنان قد سقطت في الانتخابات البرلمانية اللبنانية.

وأنا عندما كنت في الولايات المتحدة وعندما كنت مدرساً في إحدى جامعاتها، ومتخصصاً في دراسة الإسلام السياسي والحركات السياسية الإسلامية الأصولية والفكرية؛ تبين لنا أنه بعد عام ٢٠٠١ كان هناك مخطط في الولايات المتحدة لاحتلال الطرق والقضاء على النظم السنية في المنطقة العربية؛ لأن هذه النظم السنية المحافظة في الخليج العربي هي عائق أمام التوسع الأمريكي في الشرق الأوسط، وترفض مفهوم الهيمنة الأمريكية.

وما حدث في نيويورك وواشنطن عام ٢٠٠١ (هجمات سبتمبر) كان نتيجة عدااء الفكر السني الأصولي للمخطط الأمريكي؛ فالمستولون عن الحادث كلهم من الخليج العربي، ويأتى على رأسهم زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن، وبذلك اتضح أنه لا بد من تحويل النظم المحافظة في الخليج العربي - حتى لو كانت مؤيدة للنظام الأمريكي وأشدّها

حماساً له - إلى نظم ديمقراطية وفقاً للطريقة الأمريكية، وشهدت الفترة من عام ٢٠٠٢ إلى عام ٢٠٠٦ مهادنة مع إيران؛ لأن المسلمين الشيعة لا خوف منهم على الديمقراطية الأمريكية؛ لأن الشيعة لهم فقيه يمكن الاتفاق معه، بينما السنة مقسمون إلى أحزاب مختلفة؛ فإيران دولة إقليمية كبيرة تطل على المنطقة العربية من المحيط الهندي والخليج العربي إلى الفرات، ولم تعبر إلى المنطقة العربية منذ عهد الدولة الساسانية، وبعد هزيمة هرقل لهم وانتشار الإسلام في المنطقة العربية. منذ عام ٢٠٠١ إلى عام ٢٠٠٦ كان لهذا الاتجاه تأثير كبير على المنطقة العربية، كما بدأ (في هذه الفترة من عام ٢٠٠١ إلى عام ٢٠٠٦) صعود حزب الله يقوى في الجنوب اللبناني تحت سمع وبصر الولايات المتحدة الأمريكية.

ولكن في أواخر عام ٢٠٠٥ بدأت المهادنة الأمريكية مع إيران تقل، خصوصاً مع التهديدات الأمريكية لإيران بفرض عقوبات عليها، أو توجيه ضربات عسكرية لها على غرار ما فعلت في العراق. بدأت إيران تستفيد من النفوذ الممتد لها في الوطن العربي في مواجهة الولايات المتحدة، خصوصاً عندما بدأت تحرك حزب الله وحماس أيضاً في مواجهة إسرائيل، وبدأت تحرك النظام السوري في مواجهة أمريكا، ثم بعد ذلك جاء تعاون المخابرات الإيرانية مع حركة طالبان في أفغانستان.

ثم أتى النفوذ الشيعي في العراق، وخصوصاً بعد النكسة التي تعرضت لها الولايات المتحدة؛ فهناك كل هذه التحركات التي بدأتها إيران في مواجهة الولايات المتحدة نتيجة نشاطات إيرانية في المنطقة العربية خلال الفترة من ٢٠٠١ إلى ٢٠٠٦، وهي تمثل بذلك تحدياً للنظام الأمريكي الذي يتهم إيران بحيازة أسلحة نووية ويهدد بفرض عقوبات عليها.

وفي نفس الوقت بدأت إيران تقوى علاقتها مع سوريا والصين والهند لتشكيل محور لمواجهة الولايات المتحدة الأمريكية، التي عندما شعرت بفشلها في العراق بدأت تستعين بالاتحاد الأوروبي وروسيا للمشاركة معها في حربها على العراق، وفي هذا الوقت وفي ١٢ تموز (يوليو) ٢٠٠٦ اندلعت الحرب الإسرائيلية على لبنان لقيام حزب الله بأسر جنديين إسرائيليين، واستمرت ٣٣ يوماً صمد فيها حزب الله ولم يضعف، وتم تدمير البنية التحتية اللبنانية في الجنوب اللبناني، وضرب معاقل حزب الله، وفي ذلك الوقت قامت الحكومة اللبنانية أثناء الحرب بعقد جلسة طارئة (الحكومة اللبنانية مشككة كما هو معروف من عدد من الطوائف اللبنانية، ولحركة أمل وحزب الله وزراء فيها) واتخذت القرارات الآتية:

- وقف إطلاق النار فى الجنوب اللبنانى .

- إعادة فرض الجيش اللبنانى فى الجنوب تمهيداً للسيادة الكاملة للدولة اللبنانية على جميع أراضيها .

أولاً: بداية الأزمة داخل لبنان، تفكك الحلف السورى/ السعودى

جاء قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١ بوقف إطلاق النار إلينا فى مجلس الوزراء اللبنانى ، ووافقنا عليه بالإجماع والولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل كانوا يريدون أن تستمر الحرب أكثر من ذلك حتى يستمر الخراب والدمار للشعب . ويجب أن نعرف جيداً أن القرارات فى الحكومة اللبنانية الحالية التى يتزعمها فؤاد السنيورة لا تتخذ إلا بالإجماع ، فعند غياب أحد الوزراء لا يتخذ القرار فى الحكومة ، ونريد أن نوضح أن حكومة السنيورة عمرها سنة وه أشهر ، ولم تتخذ أى قرارات فى حالة انسحاب أو غياب وزير ؛ أى إن القرار يصدر بالإجماع فى الحكومة اللبنانية ، وقد حدثت الأزمة اللبنانية بداية من خطاب السيد حسن نصر الله فى خطابه المعروف باسم النصر لله الذى اتهم فيه الحكومة اللبنانية بأنها حكومة عميلة للولايات المتحدة الأمريكية ؛ وهو ما ترافق مع انسحاب ٦ وزراء شيعة من الحكومة لخلق أزمة دستورية يقصدون منها تعطيل مجلس الوزراء اللبنانى وحل الحكومة الحالية ، حتى يصبح لبنان بدون حكومة ، وقام هؤلاء الوزراء بالتزول إلى الشارع والوقوف إلى جانب المعارضة لإجبار الحكومة على الاستقالة ، وكان الوزراء الستة قد ألحوا باستقالتهم منذ ٦ أشهر لرفضهم الموافقة على قرار الحكومة اللبنانية بالسماح بتشكيل محكمة دولية للتحقيق فى اغتيال الحريرى ، إلا أن حكومة السنيورة قد أصدرت قراراً بحضور ثمانية عشر وزيراً من بين أربعة وعشرين وزيراً بالموافقة على تشكيل محكمة دولية للتحقيق فى اغتيال الحريرى .

وبعد استقالة الوزراء الستة من الحكومة ودعوة رئيس الحكومة للرئيس اللبنانى لحضور اجتماع مجلس الوزراء للتصويت على المحكمة ؛ رفض رئيس الجمهورية اللبنانية ذلك بحجة أن مجلس الوزراء لا يحتوى على طائفة مهمة وأساسية فى لبنان ، وهى طائفة الشيعة (الوزراء الستة المستقيلون) وقد رفض رئيس الوزراء استقالة هؤلاء الوزراء ودعاهم للعودة للعمل مرة أخرى .

وقبل ذلك كان قد قام ١٤ عضواً من البرلمان اللبناني بتوجيه رسالة إلى كوفي أنان أمين عام الأمم المتحدة يخبرونه أنهم أجبروا على التصويت للتمديد لرئيس الجمهورية لعماد إميل لحود؛ فالمعارضة الآن تريد إسقاط الحكومة اللبنانية التي لم يمر على توليها مقاليد الحكم سنة وه أشهر، بينما الحكومة لا تسقط إلا بشيئين: الأول: سحب الثقة من مجلس النواب وهذا لم يحدث، والثاني: وهو فقدتها الأغلبية وهذا لم يحدث.

والرئيس اللبناني العميد إميل لحود يقف الآن مع المعارضة للإطاحة بحكومة السنيورة، وهو منذ البداية يسانداهم، وهم بذلك قد جددوا له سنة كاملة لرد الجميل.

الصراع الآن في لبنان ليس بين المسلمين والمسيحيين كما تعودنا، ولكن بين السنة والشيعة، والمسيحيون يقفون في الوسط، يرون ماذا يحدث، وهذا وضع لم نتعود عليه قبل ذلك؛ فقد صرح حسن نصر الله زعيم حزب الله أن الحكومة رفعت يدها عن الإعمار في لبنان، وهذا لم يحدث، بدليل أن هناك ٢٤٠ قرية مدمرة في لبنان تم صرف التعويضات لها، وبدأت عملية الإصلاح لـ ١٠ قرى؛ فبعد أشهر قليلة ستكون هناك انتخابات رئاسية في لبنان، والمرشح لها بقوة الجنرال عون الذي له تكتل كبير سواء داخل البرلمان، أو الحكومة اللبنانية، وسيكون لذلك تأثير كبير على المسرح السياسي اللبناني.

ثانياً: البعد الإقليمي والدولي للأزمة: الصراع بين الولايات المتحدة وإيران

الجزء الثاني من الصراع في لبنان هو صراع إقليمي. . هناك صراع إقليمي خاص بلبنان وهو مع سوريا؛ فبعد سقوط كل أنصار سوريا سواء داخل الحكومة أو البرلمان اللبناني أدى ذلك إلى زيادة التوتر داخل سوريا، خصوصاً مع موافقة الحكومة على تشكيل محكمة دولية لاغتيال الحريري، والاتهام الرئيس بوجهه إلى سوريا في اغتيال الحريري، وقد جاءت استقالة الوزراء الستة للتعبير عن رفضهم تشكيل المحكمة الدولية الخاصة بالتحقيق في هذا الاغتيال، والذي يمثل اتهاماً صريحاً للنظام السوري بالتورط في اغتيال الحريري، وهؤلاء الوزراء هم شيعة تابعون لحزب الله التابع لإيران.

ونعرف جيداً مدى عمق العلاقة الإستراتيجية بين إيران وسوريا، وأن النظام السوري بعد العزلة العربية المفروضة عليه يعتمد الآن في وجوده على النظام الإيراني، يضاف إلى ذلك قيام سوريا بإمداد حزب الله بالسلاح أثناء الحرب، وسوريا هي حلقة الوصل بين إيران وحزب الله.

هذا الصراع الدائر فى المنطقة هو فى الأساس ذو بعد دولى . . . ويتمثل هذا البعد الدولى فى الصراع بين الولايات المتحدة وإيران الموجود الآن فى لبنان؛ فالولايات المتحدة تصرّح بأن النفوذ الإيرانى موجود فى لبنان ممثلاً فى حزب الله، وإيران تقول إن النفوذ الأمريكى موجود فى لبنان ممثلاً فى حكومة السنيورة.

وهكذا يستمر النزاع بين الولايات المتحدة وإيران من خلال الصراع بين القوى السياسية فى لبنان وتحديدًا بين حكومة السنيورة وحزب الله.

فبعد عام ٢٠٠٥ والتهديد الأمريكى لإيران بفرض عقوبات عليها عقاباً لها على برنامجها النووى؛ وبل ومنذ عام ٢٠٠١؛ بدأ النفوذ الإيرانى يزداد فى الخليج والعراق وسوريا ولبنان؛ وذلك جزء من الصراع بين الولايات المتحدة وإيران؛ فلبنان يوجد فيها ٢ مليون مسلم تقريباً، وهناك اغتبيالات تتم داخل لبنان كان آخرها الوزير اللبنانى السابق؛ وهو مسيحى من عائلة سياسية كلها رؤساء ووزراء. فالحرب بين الولايات المتحدة وإيران انتقلت إلى داخل لبنان، وأصبح لبنان مسرحاً للصراع بين الولايات المتحدة وإيران.

ثالثاً: نحو حل عربى للأزمة

ومع هذا الصراع فإن الموقف فى لبنان لن يتم حله إلا بحلّ عربى وموقف عربى موحد؛ ذلك أنه بعد خروج مصر من حلقة الصراع العربى الفلسطينى بعد اتفاق كامب ديفيد، والنزاع بين سوريا والسعودية خصوصاً بعد اغتيال الحريرى ووصول بشار إلى الحكم، وخروج سوريا من لبنان؛ أصبحت إيران هى الفاعل الرئيس فى لبنان عن طريق حزب الله، وبعد هزيمة الولايات المتحدة فى العراق بدأت تستعين بالاتحاد الأوروبى للخروج من الأزمة فى العراق، وأيضاً تستعين بروسيا، فضلاً عن الاستعانة بالأنظمة العربية الحاكمة فى المنطقة؛ لمساعدتها لحل أزمتها، وحتى يتم تفتيت التحالف الإيرانى / الروسى؛ وهو ما يفسر الرغبة الأمريكية فى فك الحصار عن بعض التكتلات الدولية للمساعدة فى خروجها من أزمتها الراهنة فى العراق.

فبعد فشل الولايات المتحدة فى حربها داخل العراق، وفشل إسرائيل إستراتيجياً حتى الآن (فقد انسحبت من الجنوب اللبنانى عام ٢٠٠٠، ثم بعد ذلك انسحبت من غزة، وأصبحت تعتمد فى بقائها على الولايات المتحدة والغرب)؛ يجب على العرب فى هذا

الوقت أن يتحدوا ضد الولايات المتحدة، فهناك غياب من قبل الجانب المصرى عن التواجد على الساحة العربية. . هذا الغياب والفشل من الجانب المصرى لا يتمثل فى وجوب القيام بدور عسكري؛ وإنما يتمثل فى غياب وضع إطار للتسوية، فيجب ألا يقتصر الدور المصرى على التنسيق بين حماس وفتح فقط؛ بل يجب أن يمتد إلى مستوى أكبر من ذلك؛ لأن الدور المصرى مهم ومؤثر على الساحة العربية.

فالملاحظ على الساحة العربية هو غياب الدور العربى، وحضور الدور الإيرانى والتركى على حد سواء؛ فتركيا لم تفعل شيئاً حسناً أو سيئاً، ولكن إيران أصبح لها نفوذ داخل العراق وسوريا ولبنان؛ فهل إيران من مصلحتها إقامة دولة فلسطينية موحدة عاصمتها القدس أكثر من العرب؟ وهل إيران تريد مستقبلاً مشرقاً للبنان؟ لا أعتقد ذلك. . وعندما تسأل الإيرانيين عن سبب تواجدهم فى لبنان يقولون لمواجهة الأمريكان؛ فلماذا لا يذهب الإيرانيون إلى العراق ليحاربوا الأمريكان، مع أن أغلبية سكان العراق هم من الشيعة؛ أى إن حوالى ٧٠٪ من العراقيين شيعة، فإذا كانت إيران تريد مصلحة المسلمين فلماذا اقترحوا الفيدرالية فى العراق؛ فالسبب الرئيس فى حضور الدور الإيرانى التركى فى المنطقة العربية هو غياب الدور العربى؛ فإيران هى من ضمن المقترح الأمريكى لمشروع الشرق الأوسط الكبير الذى يضم دولاً إقليمية غير عربية؛ فنحن العرب لا نلوم إلا أنفسنا، وكل ما يحدث من أزمات هو نتيجة غياب الدور العربى.

وأخيراً أود أن أبدي بعض الملاحظات على نقاط هامة أثارها دوائر الرأى العام بهذه المناسبة: بالنسبة للنقطة الخاصة بأن إسرائيل جزء من المشروع الصهيونى فى المنطقة؛ فهذا ليس صحيحاً؛ فلم يرد نص فى أى بيان صهيونى يشير إلى أن لبنان جزء من المشروع الصهيونى، وحتى إن استخدموا المياه سواء فى لبنان أو خارجها، فهذا لا يعنى أنها جزء من الكيان الصهيونى، بينما الهجوم الإسرائيلى على لبنان يرجع إلى وجود الفصائل الفلسطينية فى لبنان التى هاجرت من فلسطين إلى لبنان، واتخذت من أرض لبنان مركز حركة للهجوم على إسرائيل، فمنذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٦٥ لم يحدث أى هجوم إسرائيلى على لبنان وبعد هزيمة ١٩٦٧، وانتقال بعض الفلسطينيين إلى لبنان وتركزهم فى الجنوب والقيام بعمليات استشهادية ضد القوات الإسرائيلية من الجنوب اللبناى؛ أدى ذلك إلى الهجوم الإسرائيلى على لبنان.

وبالنسبة للقضية الفلسطينية وهل أضرت بالحرب نجد أن هذه القضية أدت إلى مزيد من الحروب وخاض العرب من أجلها العديد من الحروب بداية من حرب ١٩٤٨ حتى الآن، وإسرائيل هي التي أضعفت النظام العربى، وهى السبب فى النكسة التى يعيش فيها النظام العربى الحالى .

أما بالنسبة للمبادرة السعودية عام ٢٠٠٠ فقد ولدت ميتة فى الأساس، وللأسف الشديد فإنها مبادرة ليست فى إطار التسوية الشاملة وإنما كانت جزئية، وللأسف الشديد فإن العرب يفتقدون إلى الحل العسكرى مع إسرائيل؛ حيث إن إسرائيل فى البداية كانت تعتمد فى أمنها على توجيه ضربات جوية لحماية أمنها القومى، أما بعد الحرب الأخيرة على لبنان وبنائها للجدار العازل فهى تعتمد على هذا الجدار فى حماية أمنها، وأصبحت تفضل أن يكون هناك سلام مع الأطراف الأخرى، فبعد تحييد الدور المصرى وفصله عن القضية العربية بعد اتفاقية السلام مع إسرائيل لم يعد ممكناً دخول العرب فى مواجهة عسكرية مع إسرائيل بدون مصر، فمصر لا بد أن تكون هى الأساس فى المواجهة العسكرية .

أما بالنسبة لأن حماس هى الطرف الوحيد المؤتمن على القضية الفلسطينية؛ فنلاحظ أنها طرف نشط يعمل من أجل القضية الفلسطينية، ومن ناحية أخرى نجد أن حماس عندما تجد أن هناك جدوى من المفاوضات والعمل مع الإسرائيليين لن تتأخر عن ذلك؛ فحماس لم تنجح فى الانتخابات البرلمانية من فراغ وإنما فى إطار شعبى مهد لها ذلك، وما يحدث الآن من صراع بين فتح وحماس مثل الذى حدث فى غزة لن يستمر طويلاً لأن الشعب الفلسطينى أذكى من الشعب اللبنانى، ولن يحدث فى فلسطين مثلما يحدث فى لبنان لأن الهوية فى فلسطين موجودة، فلا فرق بين عربى وإسلامى؛ فالهوية موجودة فى فلسطين وليس هناك ما يحدث فى لبنان من صراع طائفى بين المسلمين والمسيحيين؛ فالمسيحى مثل المسلم فى فلسطين الكل فلسطينى، بصرف النظر عن الدين أو العرق، وحماس عندما سترى أن طاولة المفاوضات جدية ستضم إليها .

إن ما نراه فى المشهد اللبنانى وما يحدث فيه من صراع بين حكومة السنيورة وحزب الله لا يجب أن يلقى باللوم كله على حكومة السنيورة، ويصفها البعض بأنها حكومة أمريكية؛ فاستقالة الوزراء الستة من الحكومة جاء بسبب رفضهم التصويت على مشروع المحكمة الدولية الذى سيدين سوريا، ونحن نعلم جيداً قوة العلاقة بين سوريا وإيران، وهؤلاء

الوزراء الستة هم شيعة يتبعون حزب الله ، فقبل ذلك كان حزب الله يرفض دخول الجيش اللبناني فى الجنوب اللبناني على أساس أنه غير مؤهل ، ولكن بعد ذلك وافق على انتشار الجيش اللبناني فى الجنوب ، وهذه خطوة ممتازة من حزب الله فى لبنان .

أما بالنسبة للدور الإيرانى فى لبنان ؛ فنلاحظ أنه ليس من مصلحة إيران وجود صراع بين السنة والشيعة ؛ لأن إيران تريد أن تتزعم العالم الإسلامى بشمولية ، وليس عن طريق مذهبها الشيعى ؛ فعندما تقوم بخلق الصراع بين الشيعة والسنة فى العراق وسوريا ولبنان وبعض الأقطار العربية سيصبح الشيعة غرباء فى كل هذه الأماكن ، ولكن هى لا تريد ذلك .

وبالنسبة لولاية الفقيه فى إيران فنجد أن هناك عرقية فى السلطة الدينية والسياسية فى إيران ، وليست كل القوى فى إيران تتفق على اتباع ولاية الفقيه .

ولاية الفقيه فى المذهب الشيعى تختلف عنها فى المذهب السنى ؛ فولاية الفقيه فى المذهب الشيعى لها سلطة دينية ، بينما فى المذهب السنى ليست لها سلطة دينية ، فالفقيه فى المذهب السنى يقول فتواه ، وهى غير ملزمة سواء للدولة أو للشعب ، وقد فقدت المؤسسات الدينية السنية مكانتها فى العالم العربى لتبعيتها للأنظمة العربية وعدم استقلالها .

أما بالنسبة للأصولية السنية الإسلامية ؛ فهناك أسباب أدت إلى ضعفها ، منها تبعية المؤسسات السنية للأنظمة الحاكمة ، فمثلاً فى دولة مثل السعودية برغم ما تمتلكه من بترول إلا أن المؤسسة الدينية فى السعودية موظفة لدى الدولة ، وعدد العاملين فى المؤسسات الدينية فى السعودية تجاوز ٣٠ ألف عامل ، وللأسف الشديد المؤسسات الدينية أصبحت تابعة للأنظمة العربية الحاكمة .

أما بالنسبة للنظام الشيعى فى إيران ؛ فنجد أنه لم يحقق أهدافه ؛ حيث نجد أن ٣٦٪ من الإيرانيين تحت خط الفقر ، رغم أن إيران تدعم حزب الله بـ ٣ مليارات دولار سنوياً ، وهى تختلف عن تركيا التى بدأت تركز أولاً على التنمية الاقتصادية ؛ فإيران دولة تعتمد على النفوذ داخل المنطقة العربية من خلال المد الشيعى ، والمذهب الشيعى ليس مثالياً ، والمشكلة فى المذهب السنى أكبر ، خصوصاً أن المذهب السنى عدد سكانه أكثر ، وبالتالي إذا فقد الأفراد الثقة فى هذا المذهب الذى يعتنقه مليار و ٣٠٠ ألف ستكون المشكلة أكبر .

● التعقيب

د. حسن نافعة (*)

د. ناهد عز الدين (**)

د. حسن نافعة

هذه ليست المرة الأولى التي يبحث فيها هذا الموضوع، فبعد الحرب مباشرة قام مركز بحوث الوحدة الوطنية ببيروت بعمل ندوات تتناول آثار الحرب.

أريد أن أشير إلى أن الحرب لم تنته لسببين: الأول: أن هناك بعض الكتابات الإسرائيلية تشير إلى أن إسرائيل ستستأنف الحرب في الصيف القادم، الثاني: اشتداد النزاع الطائفي في لبنان؛ وهو ما تريده إسرائيل، وكان هو الهدف الرئيس للحرب التي قامت بها على لبنان.

بالنسبة لورقة أ. أمجد نلاحظ أنه اختار القرآن، وكل باحث له مطلق الحرية في اختيار المنهج المناسب طالما أنه يستطيع أن يصل منه إلى نتائج. أما بالنسبة لحماس فأنا أعتقد أن وجودها في السلطة لا ينقص من قدرها، وهي استفادت بالتأكيد من وجودها في السلطة، وقد فرض عليها أن تكون في السلطة طالما أنها إذا لم تدخل السلطة ستفرض عليها قيود. أما بالنسبة للحصار المفروض على حماس فقد شاركت أطراف عربية وفلسطينية في هذا الحصار، واللوم يقع على هذه الأطراف في الحصار المفروض حالياً على حماس.

وأريد أن أوجه ملحوظة أخرى بخصوص ورقة أ. أمجد. فإنه تعرض لما تقوله الصحافة الإسرائيلية ولم يتعرض للكتابات الإسرائيلية بعد الحرب، والتي نشرها مركز

(*) أستاذ العلوم السياسية ورئيس قسم العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة.

(**) مدرس العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة.

جاس للعلوم السياسية فى إسرائيل بعد الحرب . أما بالنسبة للسؤال بخصوص هل انتهت الحرب فعلاً أم لا ؛ فأريد أن أوضح أن نتائج الحرب قد أعطت حوافز سياسية لإسرائيل ، مع أنها لم تحقق نصراً عسكرياً ؛ فالقرار ١٧٠١ يعطى الحكومة اللبنانية حق مطالبة القوات الدولية فى الجنوب اللبناى بنزع سلاح حزب الله ، أو الوقوف على الحدود مع سوريا ؛ فبذلك يحقق القرار ١٧٠١ لإسرائيل أهدافها ؛ وهى : استمرار النزاع بين الحكومة اللبنانية وحزب الله حتى تدمير حزب الله ، فالقرار هنا إذن يعطى مكاسب سياسية لإسرائيل لا تستحقها . . هذه هى أهم النتائج السياسية للحرب الإسرائيلية على لبنان . فإذا كانت الحكومة اللبنانية غير مستعدة للوقوف فى موقف وطن موحد أثناء الحرب فإن الحرب ستستمر .

ونريد أن نؤكد أن الولايات المتحدة وإسرائيل بذلك تريد أن تكون الحكومة اللبنانية أداة لتنفيذ سياستها ، للقضاء على حزب الله . . ولتوضيح هذه الفكرة يجب أن نؤكد على الآتى :

* إن قضية خطف الجندين الإسرائيليين وأسرها ليست سبباً رئيسياً للحرب ؛ فقد كان هناك اتفاق بين الحكومة اللبنانية وحزب الله أنه من حق الحزب أسر جنود إسرائيليين لمبادلتهم بأسرى لبنانيين .

* إن إسرائيل كانت تنوى شن هذه الحرب منذ فترة طويلة ؛ وذلك للقضاء على حزب الله ، والكتابات السياسية تؤكد ذلك ، فإذا لم تنجح الولايات المتحدة وإسرائيل فى استخدام الحكومة اللبنانية للقضاء على حزب الله كما يعجز القرار ١٧٠١ للحكومة ؛ فإنها ستواصل القتال فى الصيف القادم .

وأعتقد أن الثلث المعطل الآن فى الحكومة اللبنانية لا بد أن يشارك ، وأن يكون هناك وحدة وطنية تستطيع الحكومة من خلالها تحقيق التعاون والوحدة فى لبنان ؛ فتقرير بيكر الذى أعده أوضح فيه أنه لا بد على السياسة الأمريكية أن تفتح باباً للحوار مع أطراف الأزمات فى المنطقة ، حتى يمكن حل هذه الأزمات ، وأن تفتح الحوار مع سوريا وإيران ؛ لأن هذه الأزمات مترابطة ، ويجب أن يكون هناك تغيير فى السياسة الأمريكية تجاه المنطقة العربية ، من خلال آلية معينة للتسوية الفعالة للأزمات تجاه الشرق الأوسط ، وأن يكون هناك مؤتمر دولى تبحث فيه الولايات المتحدة هذه الأزمات ، وكيفية التفاهم مع الأطراف

التي من خلالها يمكن حل هذه الأزمات ، وإلا ستستمر الحرب داخل لبنان طالما أن حزب الله مستمر في مقاومته ؛ فالقضية الآن داخل لبنان من وجهة النظر الأمريكية / الإسرائيلية هي نزع سلاح حزب الله .

د. ناهد عز الدين

أنا أتفق مع أ. أمجد في أن الأنظمة العربية أنظمة سلبية في مواجهة إسرائيل ؛ فإسرائيل نواياها معروفة حتى على طاولة المفاوضات ، وعندما نقول الحرب الإسرائيلية / اللبنانية فنحن نعني بذلك أن إسرائيل هي التي بدأت بالحرب والاعتداء ، وأنا لا أتفق معه في أننا بذلك وضعنا لبنان في كفة واحدة مع إسرائيل . فنحن نقول مثلاً حرب أكتوبر هي حرب مصرية ؛ لأن مصر هي التي بدأت بالحرب ، وهي صاحبة الانتصار ، فنحن نقصد المواجهة العسكرية بين هاتين الدولتين ؛ ولذا اختار المركز عنوان المؤتمر «الحرب الإسرائيلية / اللبنانية» وهي الحرب التي أثبت فيها الطرف اللبناني ثباتاً وصموداً مشهوداً .

إن عمير بيريتس كان مثل الحائط . . الكل كان يتقده لفشله في إدارة الحرب ، ولو كان قد نجح في إدارة الحرب لما انتقدته وسائل الإعلام .

على جانب آخر أشار أمجد إلى حالة التوقع داخل إسرائيل بعد الحرب ، والصراع بين النخب السياسية ، غير أن هذا التوقع لا يتناسب مع طبيعة المشروع الصهيوني القائم على التوسع لتحقيق حلم إسرائيل الكبرى .

أما حوادث القتل والاغتيال والإرهاب ؛ فليست مؤشراً لسقوط إسرائيل ، فسقوط إسرائيل أمر محتم ولكن ليست حوادث القتل والاغتيال هي بالضرورة مؤشر على ذلك .

وإن إسرائيل لا تعتمد في قوتها على الجانب المادي فقط ، ولكن هناك الجانب الدعائي الذي تعتمد عليه ؛ فبعض الكتب الغربية كانت قد أعلنت أن الشفرة التي حدثت في حرب أكتوبر ١٩٧٣ دليل على أنه كان من الممكن تحويل النصر إلى هزيمة .

وفيما يتعلق بلبنان فكل دولة أثناء الحرب يكون لها أهداف تريد تحقيقها ، وقد تحققت بصورة نسبية . . وكان لإسرائيل هدف من هذه الحرب وهو تدمير حزب الله ولم يتحقق ، يضاف إلى ذلك أن هدف حزب الله كان هو تبادل الأسرى مع إسرائيل وهذا لم يحدث .

مما لا شك فيه أن هذه الحرب قضت على الغطرسة الإسرائيلية التي اعتادت عليها . هناك أيضاً جانب مهم هو جانب الهوية ؛ وهو ما تفتقده لبنان وكذلك إسرائيل ، فلا بد أن يكون هناك هوية مشتركة متفقة على المبادئ الأساسية ، ولعل ما أشار إليه الباحث نموذج للهوية ؛ فعرب ١٩٤٨ أبدوا خلال الحرب الإسرائيلية اللبنانية تضامنتهم مع لبنان ، وتمسكوا بهويتهم مع أنهم يعيشون داخل المجتمع الإسرائيلي ، ونعتقد أن إسرائيل لا تزال تعتبرهم طابوراً خامساً ، وتشك في ولائهم لإسرائيل ، وأذاعت إسرائيل أنها سعيدة جداً عندما سقطت صواريخ كاتيوشا على هؤلاء العرب ، وأذاعت ذلك ببهجة وسرور في نشراتها الإخبارية ، وقد انتقد عرب ١٩٤٨ الحكومة الإسرائيلية أثناء الحرب لأنها لم توفر لهم الملاجئ . . فهل لو كانت وفرت لهم الملاجئ لكان لهم موقف آخر من تلك الحرب؟ . .

يضاف إلى ذلك نقطة هامة في البحث المقدم من الأستاذ أمجد ؛ وهي الإرهاب وإسرائيل . . إن حماس وحزب الله منظمات إرهابية ؛ لذا لا يجب التعامل معها ، ومع أنهم كانوا يعترفون بحركة فتح ومنظمات التحرير الفلسطينية ، إلا أنهم لم يقدموا لهم أى شيء ؛ بل عزلوهم سياسياً ، والدليل على ذلك عزل ياسر عرفات وقتله بالسم .
